

الأدب النسائي: تأكيد الكينونة وانتزاع الاعتراف

Women's Literature: Affirmation of Being and the Struggle for Recognition

أحلام مناصريّة

جامعة باتنة 01 (الجزائر)

Ahlem.menasria@univ-batna.dz

فوزي لحمر*

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي
(الجزائر)

Fouzi.lahmar@univ-oeb.dz

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/20

تاريخ الاستلام: 2025/06/20

ملخص:

أسهم غياب التحديد الدقيق لمصطلح الكتابة النسائية وغياب التحكم النظري المصاحب لذلك في شيوع مفاهيم مختلفة، منها ما يطرح حول وضع النص النسوي مقابل النص الذكوري، حيث يتم تقسيم النص الأدبي انطلاقاً من جنس كاتبه. وهذا ما يجعلنا ومنذ البداية أمام قضية شائكة تنطلق من سؤال يبحث عن هوية هذا الجديد: هل الأدب النسائي هو الأدب الذي تكتبه المرأة؟ أم الأدب الذي يكتب عن المرأة؟ و هل الأدب الذي تكتبه المرأة أو يكتب عنها يتمتع بسمات فارقة تسوغ إفراده بالتسمية؟ هل يوجد أدب نسائي تنتجه حساسية خاصة بالمرأة بوصفها طبيعة أنثوية؟.

من هنا يكون هدف هذه المداخلة الإحاطة -ايستيمولوجيا ومنهجيا- بإشكالية مصطلح الكتابة النسائية ومفهومها من خلال تتبع جذوره الفكرية واستخلاص تأثير الأدب النسائي العربي بنظيره الغربي انطلاقاً من مرجعيات بعض الحركات النسوية التي استطاعت بلورة جملة من المفاهيم والنظريات والتصورات في ضوء النقد الثقافي ووعود ما بعد الحداثة.

الكلمات المفتاحية: إشكالية المصطلح، النسوي، النسائي، الأنثوي.

Abstract:

The lack of a precise definition of women's writing and the accompanying lack of theoretical control have contributed to the spread of various concepts, including those that revolve around the position of women's texts versus men's texts, whereby literary texts are divided based on the gender of their author. This presents us, from the outset, with a thorny issue that stems from a question that seeks the identity of this new concept: Is women's literature literature written by women? Or literature written about women? Does literature written by or about women possess distinctive characteristics that justify its singular

designation? Is there a women's literature produced by a sensitivity specific to women as a feminine nature?

Hence, the aim of this intervention is to encompass - epistemologically and methodologically - the problematic nature of the term "feminist writing" and its concept by tracing its intellectual roots and extracting the influence of Arab feminist literature on its Western counterpart. Based on the references of some feminist movements that were able to crystallize a set of concepts, theories, and visions in light of cultural criticism and the promises of postmodernism.

Keywords: Terminological challenges, feminist, feminine, female.

. مقدمة:

يأخذ الحديث عن المرأة وعلاقتها بالأدب منعرجا حاسما في مجال الدراسات المهمة بإنجازاتها الأدبية في الفكر الإنساني، فقد "حققت النساء في الأدب، أكثر من أي مجال آخر هوية وصوتا متميزين وتاريخا طويلا-مع أنه مسجل في فترات متقاطعة من الإبداع والتميز. وبما أن الرجال سيطروا على الساحة الأدبية، وحددوا مسارها، وفسروا الأوجه النقدية التي توجه هذا الأدب، كان على النساء أن يدخلن هذا العالم"¹ وهذا ما أسس لظهور نتاج أدبي أبدعته المرأة، أصطلح عليه بأكثر من تسمية؛ حيث صاحب صدور مصطلح "أدب المرأة" أو الكتابة النسائية جدل حول مضمون هذه التسمية/ الظاهرة التي تتضمن إشكالية تصنيف الأدب على أساس الاختلاف الجنسي²، ولذلك، فلا غرابة أن نجد مواقف النقد تختلف بشأنه اختلافاً بينا جسّد تعارضا صارخا في الرؤى والجماليات التي تخص أدب المرأة، وهذا ما أدى إلى تعدد الجهود لتحديد هذا المفهوم وتسييجه، مادام النقد لم يتفقوا على تسمية أو مصطلح موحد "فمنهم من قال بالنسوية، ومنهم من وصف كتابة المرأة بكتابة الأنثى، ومنهم من قال بالكتابة النسائية"³. وهي مفاهيم تختلف بشأنها اختلافا بينا "ففي السويد مثلا يسمى أدب المرأة بأدب الملائكة والسكاكين، وأطلق أنيس منصور على ما تكتبه المرأة اسم "أدب الأظافر الطويلة، لأنها مستعدة وهي تكتب للخريشة والانتقام... كما يرى إحسان عبد القدوس أن أدب المرأة أدب صوتي وأدب شكلي، تعنى فيه بالتأثير الرنيني والتخيلي عن طريق اختيار الجملة والعبارة دون التدقيق في الموضوع"⁴. إذن فقد تعددت المصطلحات -أدب المرأة، الأدب النسوي، الأدب النسائي، الأدب الأنثوي، أدب الأظافر الطويلة...- وراج معها الظن بأنها تحيل إلى معنى واحد، غير أن الأمر خلاف ذلك، فالمعنى ليس واحدا وإن كان الهدف منها واحدا؛ وهو ضبط اصطلاح يعنون كتاباتها الإبداعية ويضع حدا للتعدد غير المجدي. فقد شغلت هذه المفاهيم والمصطلحات المشهد الأدبي المعاصر الذي سعى لإيجاد منظومة القيم التي ينطوي عليها الإبداع الأنثوي، حيث عانى من غياب التحديد الدقيق لمصطلحاته.

فأي المصطلحات السابقة-النسوية، الأنثوية، النسائية-يمكن اعتمادها لحظة معايشة نص مكتوب بقلم المرأة؟

إن فوضي الاصطلاح التي واكبت ظهور هذا النوع من الإبداع الأدبي _الأدب الذي تكتبه المرأة_ جعلته موضوعاً إشكالياً بامتياز أثار ولا يزال يثير العديد من الأسئلة النقدية، إذ أن الأمر فيه لم يعد يتعلق بإشكالية المصطلح والمفهوم فحسب، واللذان لم تحسما بعد، بل تعداهما إلى مسألة مشروعيتها وكيفية تلقيه والمواقف المتخذة إزاءه في الساحة الإبداعية الأدبية والنقدية، وهو ما سنتطرق إليه تباعاً فيما يلي:

2. إشكالية المصطلح والتأسيس المفاهيمي:

1.2. إشكالية المصطلح في النقد الغربي:

ظهر أدب المرأة في النقد الغربي في بادئ الأمر؛ حيث واجه الجيل الجديد من الكاتبات جملة من الإشكالات التي تتصل بصعوبة إيجاد مصطلح تُدرج في إطاره كل كتاباتهن، وما لبث أن راج في الاستعمال مصطلحان، هما: **L'écriture**

féminine/Le féminisme

• **Le féminisme**

ظهر هذا المصطلح عند ألكسندر ديماس الابن (**Alexandre Dumas Fils**) سنة 1872م؛ حيث استعاره من القاموس الطبي، والحقيقة أن ظهوره الأول في هذا المجال يعود إلى سنة 1870م؛ حيث أطلق ليصف توقفاً في النمو، وبمعنى أقرب تشوهاً في النمو لدى الرجال ليوسموا بمقتضى هذا التشوه الخلقي بأنهم غير مكتملي الذكورة، هذا عن معنى المصطلح في المجال الذي ظهر فيه أول مرة وهو المجال الطبي⁽⁵⁾، ولا شك أن استعارة المصطلح وإدراجه في مجالات أخرى سيؤدي إلى اكتسابه لدلالات أخرى مضافة إلى دلالاته الأصلية التي وجد من أجلها، على أن تتوافق هذه الدلالات مع السياق الذي يرد فيه، ففي المجال السياسي والاجتماعي وبالأخص الأدبي يطلق ليدل على نساء تخلين عن مظاهر أنوثتهن الشكلية وتمردن عليها وكسرن القيود المفروضة عليهن لتتمكن من ولوج عوالم لطالما ظلت حكراً على الرجل، رغبة منهن في منافسته في المكاسب التي حققها وفي موقع المركزية الذي شغله، وإيجاد لأنفسهن موقعا ضمن هذه المجالات التي ظلت مهمشة فيها، من خلال إثبات خصوصيتهن ومن ثمة تميزهن وجدارتهم ببلوغ المكاسب تعويضاً عن التخلي عن بعض ملامح الهوية الأنثوية.

وإذا كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن ظهور المصطلح يعود إلى سنة 1872م، فإن نعود للتأكيد بأن الاعتراف الفعلي به يعود إلى القرن العشرين، وتحديدًا إلى سنة 1910م، وتزامن ذلك مع الاعتراف بالدور الذي لعبته المرأة بوصفها تشكل كينونة المجتمع في تخصيب الحقول المعرفية، وقد اعتمد المصطلح في مؤتمر دولي ساعدت على عقده النسوية البارزة كلارا زاتكين⁽⁶⁾.

• **L'écriture féminine**

وظهر هذا المصطلح سنة 1975م، عندما نشرت "إيلين سيكسو" (**Hélène Cixous**) كتابها الذي يحمل عنوان (**la jeune née**)، وكذا مقالها المعنون بـ "ضحكة قنديل البحر" (**La rire de la méduse**)⁽⁷⁾.

وقد بيّنت من خلالهما خصوصية ما تكتبه بوصفها أنثى مما يستوجب إيجاد مصطلح يطلق كتسمية تدرج ضمنها كل إبداعات المرأة، وقد أقرت بأن ليس هناك مصطلح أنسب مما اقترحته وهو مصطلح الكتابة النسوية ويأتي نسبة إلى الحركة النسوية المأخوذة من مصطلح النسوي.

2.2. ترجمة المصطلح:

عددت المصطلحات التي تسم كتابات المرأة -و قد سبق ذكرها (أدب المرأة، الأدب النسوي، الأدب النسائي، الأدب الأنثوي...) - ولقيت رواجاً كبيراً باعتبار أنها اقترحت ترجمة للمصطلح الأجنبي (**L'écriture /Le féminisme** **féminine**) الوافد من الساحة النقدية الغربية إلى العربية، خاصة أن هذه الأخيرة تستلهم مفاهيمها ومصطلحاتها في مجال النقد وكذا الأدب من ثقافة الآخر باعتبارها ثقافة المركز المؤسس، ويتم ذلك عن طريق تفعيل الترجمة التي قلما تكون سليمة ومضبوطة، لأنها ترجمة حرفية للمنتج الغربي دون مراعاة الخصوصية العربية، فعندما نكون منتجين للمصطلح فإنه أمر يخول لنا تسميته وضبطه وتحميله من الدلالات ما نراه مناسباً لفكرنا وثقافتنا وللسياق الذي نورد فيه، أما أن تكون مجرد مستهلكين استوردوا المصطلح وتلقفوه من سياق وثقافة وفكر مختلف كل الاختلاف عنا، ونبحث له عن ترجمة حتى يتوافق مع الوسط الذي وفد إليه، فإنه يجعلنا أمام نتيجة حتمية وهي كثرة الترجمات⁽⁸⁾، أو كثرة المصطلحات المترجمة المرادفة للمصطلح الأم الأصلي والغربي غالباً، والتي تجعلنا نعتقد حين سماعها أن كل من منها تحيل على معنى مختلف عن سابقه ولاحقه.

وهو الأمر الذي حدث عند انتقال مصطلح (**L'écriture féminine**) إلى الساحة الأدبية والنقدية العربية؛ حيث أسفر عن فوضى عارمة نتيجة لتعدد المصطلحات المترجمة له (النسوية/ النسائية/ الأنثوية)، والحقيقة أنها لا تزال مدار جدل لما خلفته من صورة باهتة وتباين في المواقف في النقد العربي الذي لم يحسم أمرها بعد، في وقت دعا اللغويون المختصون في الترجمة إلى ضرورة التقيد في ذلك بمصطلح واحد يتم الاتفاق على إطلاقه لكونه الأنسب للدلالة على المفهوم الواحد.

ونظراً للأهمية التي يشغلها المصطلح في تحديد المفهوم وحسم الخلاف فإنه يتوجب علينا اختيار مصطلح واحد من الترجمات السابقة ليكون مقابلاً للمصطلح الأجنبي، ولن يتم ذلك بطريقة الانتقاء الاعتباطي، وإنما يجب أن ينبني وفقاً لقناعاتنا بأنه الأصح في الاستعمال والأقرب في المعنى والأنسب في الدلالة، والمتفق عليه والمتداول في التسمية لحظة معايشة أي عمل إبداعي بقلم المرأة؛ ولهذا فإن انتقاؤها لا بد أن يستند إلى أسس منطقية وبراهين عقلية وشواهد وحجج إقناعية .

وإذا كان المترجمون والنقاد قد انقسموا بسبب هذا المصطلح إلى فئات، كل فئة تنادي بأن المصطلح الذي اعتمدته هو الأقرب في مفهومه للمصطلح الأصل، وإذا كان لكل منها مبرراتها، فإننا سنتجنب الخوض فيها والتفصيل في شأنها تجاوزاً لخلاف غير مجد واستطراداً غير ذي فائدة، وسنكتفي بتبرير ترجيحنا لكفة مصطلح "النسوي" واعتماده في بحثنا، والحقيقة إن اختيارنا له جاء تبعاً للأسباب والحجج الآتية.

- مصطلح (L'écriture féminine) قد وُجد لتدرج ضمنه كتابات المرأة وهو مرتبط بالحركة النسوية **féminisme** المأخوذة من مصطلح **Féministe**؛ أي النسوي.
- مصطلح النسائية لا يحيل "إلى أية دلالة جنسية، كما لا يتضمن أي معنى يتعلق بالصفات القارة المنسوبة إلى مفهوم الأنوثة في الثقافة والمجتمع العربيين"⁽⁹⁾.
- إن مصطلح النسائي يدل على مجمل النصوص التي تنتجها المرأة والتي تتوفر على قيم فكرية وملامح جمالية وتطرح التجارب الاجتماعية والإنسانية، والتي تتمرد من خلالها على البنيات الذكورية للأدب، وتحاول تجاوزها وإضفاء ملامح الخصوصية على ما تبدعه.
- إن هذا المصطلح يشمل محاولات المرأة المبدعة لتجاوز النمط السائد في الكتابة الذكورية، ومن خلال ما يدرج ضمنه مننتاجات أدبية تعالج أوضاعها وعلاقتها وتطرح هواجسها وانشغالاتها في إطار يكفل لها التميز واكتساب الخصوصية.
- إن هذا المصطلح لا يحصر المرأة في الهوية الجنسانية ولا ينفي عنها مساهمتها ومواقعها في مختلف المجالات الحياتية.
- مصطلح النسائي يقر بمبدأ الاختلاف والمغايرة الذي يكون نتيجة لاختلاف المرأة عن الرجل من حيث جوانب عدة أهمها التركيب البيولوجي والفكري... كما يسقط مبدأ التراتبية الذي يجعل الرجل في أعلى الترتيب بينما لا تحظى المرأة فيه سوى بالمكانة الدنيا.
- مصطلح النسائي لا يكتفي في دلالته بمجرد الإحالة على الجانب البيولوجي للمرأة، وإنما يتجاوزه إلى الأطر الأخرى كإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي ليجعل من المرأة كائناً مبدعاً لا يكتفي بالتقليد، وإنما يتجاوزه إلى أبعد من ذلك بكثير حتى يتسنى لها إثبات وجودها وبلوغ غايتها ولعل أسمى هذه الغايات ترتبط بتحقيق التميز والاختلاف عن إبداع الرجل.
- مصطلح النسائي ينأى عن تشديد الخناق على المرأة في المجالات الإبداعية تبعاً للمجالات الحياتية، وما تحتكم إليه من محاولات إيديولوجية.
- إن الأدب النسائي يحيل إلى خطابات المرأة التحررية ويضم أبعاداً أخرى تنقصها من أجل الانقلاب من الهامش إلى المركز، أو حتى من أجل أن تكون نداءً لذلك المركز الأزلي الذي هو الرجل.
- إن الكتابة النسائية تخرج من إطارها كل ما من شأنه تحقيق التبعية للأفكار والقوالب اللغوية الذكورية، وتحتضن كل ما يساهم في تحرير المرأة من التبعية للآخر الذي تعامل مع أنوثتها على أنها ضرب من الضعف والعاطفية المخنوقة والطاعة المفرطة، وهذا ما يتناقى مع طموحاتها التي تهدف إلى إثبات الذات والتحرر من القيود، ورفع حجاب التهميش الذي أسدل على نتاجها مطولاً وجعلها تبقى طي النسيان لتنافس بعد ذلك الرجل الذي بلغ في عالم الكتابة مبلغاً يصعب مدافعتة منه، ولكن في إطار الاعتراف بأهمية الأدب النسوي الذي تبدعه أصبح الأمر ممكناً.

- إن المصطلح النسائي يدل على الوعي الفكري والمعرفي لدى المرأة، إذ يرصد الرؤية المعرفية لها إزاء نفسها والعالم من حولها، لتتحول إلى علامات نصية تعبيرية جمالية وفكرية خاصة تنفرد بها عن الرجل.
 - إن الكتابة النسائية تشتت في منتجاتها _ المرأة _ توفر الوعي؛ الوعي بالذات وبالآخر وبخصوصية موقعها الاجتماعي.
 - إن مصطلح النسائي مفهوم شمولي يضم أنواعا وأساليب من الكتابة عند المرأة، ويظهر جماليات وتساميات قلمها.
- استنادا إلى ما سبق ذكره يتضح لنا أن مصطلح الكتابة النسائية هو أنسب الترجمات بالمقارنة مع المصطلحات الأخرى المقترحة (النسوي، الأنثوي)، ذلك أنها محمولة على معجم اصطلاحي يدل على عوالم الأنثى ويحصرها فيها وفي تلك المظاهر المشحونة بالضعف والسلبية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون أساسا من أسس تصنيف النص في خانة تدل على أنه من إبداع المرأة.
- مما سبق يمكننا القول إن المصطلح الأكثر شيوعا واستعمالا عند الحديث عن الأدب الذي تكتبه المرأة هو "الأدب النسائي" فهو مفهوم لا يحيل إلى أية دلالة جنسية، كملا يتضمن أي معنى يتعلق بالصفات القارة المنسوبة إلى مفهوم الأنوثة في الثقافة والمجتمع العربيين.

3.2. مصطلح النسوية/ النسائية من النقد الغربي إلى النقد العربي:

لقد ظهر مصطلح الأدب النسائي في النقد الغربي في بادئ الأمر، ولكنه ما لبث أن انتقل إلى الساحة النقدية العربية عن طريق المثاقفة والترجمة والعولمة. وقد أسهمت كل هذه العوامل في رسم معالم التفكير النقدي النسوي والذي لن تبلور صورته إلا من خلال دراسة أثر النقد النسوي الغربي في النقد العربي. إذ "ليست الكتابة عن العلاقة بين النسوية الغربية والنسوية العربية بأمر هين، إذ ما زالت هذه الإشكالية لا تقرأ قراءة شاملة تستوضح خصائص الدمج بين الرؤى والجماليات، لكننا نستطيع التأكيد مبدئيا على أن الأفكار الإبداعية والنقدية النسوية العربية أسست لنفسها في ضوء الثقافة الغربية الممتلئة بالأسماء النسوية وأفكارها التحررية"⁽¹⁰⁾.

وما كان للنسوية العربية أن تؤسس لإطارها التنظيري لولا انفتاحها على النسوية الغربية؛ تنظيرا ورؤية، تطبيقا وتحويرا؛ حيث سعت إلى رسم خط سيرها الواضح في التأصيل للنقد النسوي في وقت مازالت فيه _ الثقافة العربية _ تعيش مرحلة الانفتاح على مقولات الكتابة النسوية من الناحية التأثرية عن طريق الترجمة والاقتباس، ونجد الثقافة العربية قد قطعت شوطا كبيرا في تأصيل هذه المقولات منذ الثورة الثقافية السياسية الأوروبية عام 1848، ومنذ ستينات هذا القرن الماضي تحديدا إلى الآن، شاع التنظير لهذه الكتابة والتطبيقات عليها في الغرب من خلال النقد النسوي وما طرحه من مقولات"⁽¹¹⁾.

من المؤكد _ وانطلاقا من هذا التصور _ أن النسوية لم تظهر في بادئ الأمر في الشكل الأدبي الفني الحالي، بل ظهرت بوصفها حركة سياسية _ مثلما سبق أن أشرنا إلى ذلك _ تهدف إلى تحسين وضع المرأة الاجتماعي، ثم انعكس ذلك على

موقعها في مجال الإبداع الأدبي كمحاولة منها لفرض وجودها فيه خاصة في ظل الثقافة الذكورية المهيمنة على الفكر الغربي وكذا العربي، وإن كانت المهيمنة الذكورية تتكرس في هذا الأخير أكثر من سابقه، والحقيقة أن إجراء مقارنة بينهما من حيث الأفكار والأهداف تفضي إلى كون الحركة النسوية العربية لا تختلف كثيرا من حيث الوجه العام عن الممارسة النظرية للكتابة النسوية الغربية، فالمثاقفة بينهما في هذا الجانب واضحة لا تحتاج إلى إثبات خاصة أن كل الباحثين يقرون بجوهرية التواصل الثقافي العربي النسوي مع كتابات بعض النساء الغربيات إلى حد امتلاك بعضهن شهرة واسعة لدى جميع الكاتبات النسويات رغم افتقار الدراسات العربية للتنظير في هذا الجانب⁽¹²⁾. وهذا ما يؤكد انقياد النسوية العربية خلف نظيرتها الغربية ووقوعها في الإسقاط والتقليد الأعمى لعدم مراعاة الفروق الجوهرية الثقافية والحضارية...

ولذلك فمن غير الممكن أن نجد كتابة إبداعية نسوية عربية غير متأثرة بأفكار ومقولات النسوية الغربية، وذلك ما يستلزم انفتاح المرأة العربية وتأثرها بنظيرتها الغربية، وقد سارت في ذلك بخطى حثيثة مكنتها من الممارسة الفعلية للكتابة مع بداية النهضة؛ حيث خاضت في مجال الإبداع الأدبي على اختلاف تصنيفاته الأجناسية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في وقت كانت المرأة الغربية قد بلغت فيه مبلغا حسنا ولا سبيل إلى دفعها عنه، ولا لمقارنتها في الأشواط التي قطعتها في سعيها للتحرر بنظيرتها العربية التي سارت في ذات المسار لكن بخطى حثيثة في بادئ الأمر ثم مضت فيه قدما. ومن هنا يمكن القول إن التأثير بالحركة النسوية الغربية يعد من أهم عوامل يقظة المرأة العربية خلال سبعينيات القرن الماضي، إضافة إلى كونها شكلت مرجعية للحركة النسوية في الوطن العربي، حيث ساهمت في نمو الوعي لدى النساء بأوضاعهن الاجتماعية والثقافية و...، وشكلت حافزا فعالا ودافعا قويا لإعادة النظر، ومحاولة موقعة أنفسهن في الحياة (من الهامش إلى المركز)، وبالتالي في خارطة الإبداع الأدبي والنقدي خاصة.

إذن فالتيار الغربي هو العامل الرئيس لظهور النقد النسوي العربي، خاصة أن "الثقافة الغربية قد قطعت شوطا كبيرا في تأصيل هذه المقولات منذ الثورة السياسية الأوروبية عام 1848، ومنذ ستينيات القرن العشرين تحديدا إلى الآن، شاع التنظير لهذه الكتابة والتطبيقات عليها في الغرب من خلال النقد النسوي وما يطرحه من مقولات"⁽¹³⁾، كما أن وعي المرأة لم يتشكل إلا بعد اطلاعها على أوضاع المرأة الغربية والمقارنة بين وضعيتهما، فجاء رد فعلها نتيجة لتنامي وعيها بذاتها وبضرورة تجاوز العادات والتقاليد والأعراف السائدة التي تقضي بتهميشها عن كل فعاليات الحياة، ليسفرا عن فكر نسوي عربي يدين بالكثير للفكر الغربي ولا تنقطع صلته به خاصة في مرحلة التأسيس الأولى، فمنه استمدت الأسس والضوابط والنواة الداخلية، حيث تسللت إليها أفكار النقد الغربي التي تأثرت بها أتما تأثر، وحاولت جاهدة الاستفادة منها في إبداعاتها التي تعد مزيجا من الثقافة الوافدة والثقافة الأصلية، كما عبرت عن وعي بأهمية الكتابة، وحرصت على تسخير جهودها لطرح أفكارها التحررية للخروج من رقعة الاستعباد.

لقد كرسّت المرأة ووعيها وطاقاتها وقدراتها لتغذية مجال الإبداع الأدبي والنقدي الذي أثمرت فيه بدورها أدبا نسويا مسخرا لخدمة قضايا الأنثى على اختلاف توجهاتها، وحملته رسالة سامية تهدف للنهوض بحالها ترقية فكرها مفيدة من الفكر النسوي الغربي، وتتجلى مظاهر التأثير في إتباع مقولاته وترديد أهدافه التي اطلعت عليها من خلال الاتصال والاحتكاك المباشر مع الغرب عبر سبل مختلفة، وكانت بدايته مع الحملة الفرنسية على مصر بقيادة "نابليون بونابرت" التي أتاحت للمرأة الانفتاح على أوضاع نظيرتها في الغرب وما تتميز به من خصوصية وما تتمتع به من حرية زينت صورة الغرب في نظرها و أصبح مطعمها، وهذا ما أكدته "رشيدة بن مسعود" حينما أبدت تأييدها لموقف "رافع الطهطاوي" الذي لقبها "بجنة النساء"؛ حيث قال: "إن باريس جنة النساء ... وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن أو بجمالهن وأما الرجال فإنهم بين هؤلاء وهؤلاء عبيد النساء"⁽¹⁴⁾.

وإذا كان هذا وضع المرأة الغربية فإن وضع نظيرتها العربية على خلاف ذلك لكونها تعاني من تسلط المجتمع الذكوري ومن سوء الوضع بسبب الاستعمار وسياسته، ولئن كان هذا الأخير قد خلف الكثير من السلبيات فإن ما يحسب له أن الفضل يعود إليه في التحسيس بضرورة توعية المرأة؛ حيث أن الإقرار بكينونتها كان بدفع من الغرب المتقدم، ويأتي ذلك كنوع من "التأكيد التاريخي أن إشكالية الوعي بضرورة تحرير المرأة العربية لها علاقة وصل بوضعية مغايرة، حملها معه هذا الوافد الجديد، ألا وهو الغرب الاستعماري، إذ أن الرجوع إلى عصر النهضة وتحديد طبيعة العلاقة بين مصر والغرب كافية للبرهنة على ذلك"⁽¹⁵⁾. وكذا لبيان فضله في نهضة المرأة العربية وتزايد وعيها بقضاياها، وبأهمية إثبات وجودها وإسقاط النظرة الدونية التي كانت تعامل بها عقودا من الزمن، ثم الحرص على تكريس فكرة المساواة مع الرجل في كل شيء، حتى في فرص ولوج مجال الإبداع الأدبي والتأسيس للون خاص بها.

هكذا كانت بداية الأدب النسائي العربي الذي مضى يتحسس طريقه ويظهر للعلن والوجود عبر مراحل كانت بدايتها حينما احتكت المرأة العربية بنظيرتها الغربية، وتعرفت على جهودها التحررية وسارت على نهجها، وكانت أن عملت على تكوين "الجمعيات النسائية التي تكافح عن الحقوق المختلفة للمرأة"⁽¹⁶⁾. وفيها وجدت ضالتها؛ حيث تمكنت من إسماع صوتها وإعلاء مطالبها، وتفويض من "ينصب نفسه مدافعا عنها ومطالبها بحقوقها، وهم في مجملهم دعاة إلى إصلاح المجتمع العربي، وكان تعليم المرأة وقضاياها من أهم القضايا التي شغلوا بها، وعلى رأسهم رفاة الطهطاوي 1801-1873"⁽¹⁷⁾.

ولعل أهم ما يميز المرحلة الأولى أن المرأة في مطالباتها بحقوقها قد واجهت الرأي العام الذي تعاطف معها في أغلب الأحيان، كما ناصرها كثير من رجال الفكر والأدب والفن والسياسة، ولاشك أن دعوة "الطهطاوي" و"قاسم أمين" و"الطاهر حداد"، وكثيرون من أمثالهم إلى ضرورة منح الحرية للمرأة والسماح لها بالتعليم، يعد أكبر دليل على مناصرة الرجل لقضيتها متأثرا بالثقافة الغربية وفكرها التحرري؛ حيث دعا إلى ضرورة نبذ النظرة التهميشية التي اقترنت بها "وتجاوز التصور الدولي

للمرأة والتأكيد على إنسانيتها- تؤكد أن الوعي النسوي كان مزدوج المصدر وثنائي الأصل إذ أنه عبر وساطتين لكي يصل إلى صاحبة القضية ألا وهي المرأة، لقد التقط رواد النهضة العربية وعيهم بقضية المرأة من خارج مجاهم، أي عن طريق احتكاكهم بالغرب، إن الغرب هنا يعتبر المصدر الأول للوعي العربي بهذه القضية⁽¹⁸⁾.

أما عن المرحلة الثانية، فقد شهدت فيها الكتابة النسوية تطوراً ملحوظاً، وقد اصطلحت "رشيدة بنمسعود" على تسميتها بـ "مرحلة تأنيث المرأة" "وما يبرر تسميتها هو الحضور النسائي فيها كمّاً وكيفاً، وهو السبب الذي جعلنا نطلق عليها مرحلة تأنيث القضية"⁽¹⁹⁾. وفيها تم تشكيل وعي المرأة بضرورة التعبير عن قضاياها، وتجاوز كل المعوقات والانطلاق لإثبات وجودها في مجالات استولى عليها الرجل وظلت حكراً عليه، والتي يشكل مجال الإبداع الأدبي أهمها على الإطلاق، والملاحظ " أن مرحلة تأنيث قضية المرأة... قد شهدت نضال المرأة المتميز فبعد أن قام رفاة الطهطاوي، وقاسم أمين بتقعيد وتنظير قضية المرأة متأثرين بحضارة الغرب لقيت دعوتها تأييداً من طرف أنصار التجديد غير أنها لم تكتسب شرعيتها إلا بعد أن رفعت المرأة مشعل قضيتها؛ حيث تصدت للدفاع عن مصالحها ومصلحة بنات جنسها، فحدث أن تدرجت مطالبها - كما ذكرنا سابقاً- من الاجتماعي إلى السياسي الذي عرف نشاطاً مكثفاً تمثل في تأسيس المجلات والجمعيات (درية شفيق أسست مجلة "اتحاد بنات النيل" سنة 1948م، و "سيزا نبراي" أسست لجنة الشابات، وإصدار الكتب "أماي فريد" أصدرت "المرأة المصرية والبرلمان" سنة 1947؛ بينما صدر لأنجي أفلاطون كتاب "نحن النساء المصريات" سنة 1949، وصدر أيضاً لإسماعيل مظهر كتاب "المرأة في عهد الديمقراطية" سنة 1949م⁽²⁰⁾.

وإذا كان تزايد وعي المرأة ومساندة فئات من المجتمع لها قد مكنتها من المضي قدماً في مسار التحرر، فإنه من الضروري في هذا الصدد أن نشير إلى دور الصحافة وكذا المجلات؛ حيث صدرت أول مجلة نسائية عام 1892م، في الاسكندرية، وكانت بعنوان "الفتاة" وهي مبادرة من "هند نوفل"⁽²¹⁾، وقد كان لها هدف أساسي ومعلن سلفاً تمثل في "الدفاع عن حق المرأة المسلوب"، وذلك من خلال نشر فصول عن أوضاع المرأة عبر التاريخ قصد مقارنتها بما بلغته المرأة اليوم من ثقافة وعلم، وكذا لتمكينها من تحقيق مزيد من التحرر. أما عن الصحافة فيتجلى دورها في نشر نتاجات الأدب النسوي من خلال ما أتاحتها للمرأة من فرص للتعبير ومن حرية للإبداع، ولهذا فإننا نجزم بأنه "لا يمكن تقييم الأدب النسائي بمعزل عن تقييم الصحافة النسائية العربية، والتي كانت لمدة نصف قرن ونيف الوسيلة الأساسية للكتابات العربية؛ حيث انخرطت النساء بتأسيس ونشر المجلات والصحف بدلاً من الكتب"⁽²²⁾، ومنها نذكر:

"فتاة الشرق" لصاحبتها لبيبة هاشم سنة 1907م، مجلة "الريحانة" لصاحبتها جميلة حافظ، مجلة "الجنس اللطيف" (1908-1921م)، وقد نشرت هذه المجلات التي ظهرت في القاهرة وبيروت ودمشق، وإلى حد أقل في بغداد، الشعر والنثر والنقد والمقالات المركزة على شؤون المرأة والسير الذاتية لنساء عربيات وغربيات على حد سواء⁽²³⁾.

كل هذه العوامل التي أتينا على ذكرها، إضافة إلى عوامل أخرى لا يتسع البحث للإشارة إليها تجنباً للاستطراد، كانت رافداً قوياً لتغذية الأدب والنقد والإبداع النسوي، وتسخيرها لخدمة المرأة والنهوض بوضعها وترقيتها وإثبات وجودها وكينونتها، وتأكيد مبدأ تمييزها، ولا شك أن ذلك قد انعكس بقوة على إبداعاتها التي مازالت تصارع لانتزاع لقب الاعتراف، لما شهدته من مواقف اختلفت بشأنها اختلافاً بيناً وتأرجحت بين الرفض والقبول، وهو ما سنتوقف عنده من خلال ما يلي:

3. الأدب النسائي في الميزان النقدي: (تلقي الأدب النسائي في ساحة الإبداع الأدبي والنقدي العربيين):

إن الحديث عن الأدب النسائي - من فاتحة السؤال حول إشكالية اصطلاحه ومفهومه إلى تداعيات الأسئلة حول مشروعيته وتلقيه - يأخذ طابعاً إشكالياً، خاصة أن الساحة النقدية العربية لم تفصل بعد في مشروعيته، إذ ظهرت اجتهادات فردية من قبل الدارسين والنقاد تحاول أن تتحرى إذا ما كانت الكتابة النسائية تمتلك خصوصية تجعلها متميزة عن كتابة الرجل تدفعهم لقبول هذا التصنيف وتأبيده، أو أنها لا تتوفر على ملامح الخصوصية التي تكفل لها الاختلاف والمغايرة مما يدفعهم إلى رفضها.

وسنحاول البحث في هذه الإشكالية من خلال عرض بعض الآراء التي خاضت في الأمر، ورافقت الأدب النسائي في رحلة البحث عن مكان شرعي له في الساحة النقدية والأدبية، والتي تخندقت - معظم المقاربات النقدية المهمة بتلقي الأدب النسائي - ضمن موقفين أساسيين: أولهما يرفض المصطلح ولا يعترف بخصوصيته جملَةً وتفصيلاً، وثانيهما يؤيده ويقر بمشروعيته ومن ثمة يعترف بخصوصيته وتمييزه واختلافه، ولئن كانت هذه الخصوصية ثابتة أو متغيرة فإنه قد ظهر موقف ثالث وسط بين الرفض والتأييد اصطلاح عليه بالتأييد المشروط، ويبقى لكل موقف مبرراته، وهو ما سنحاول أن نتوقف عنده من خلال التعرّيج على كل منها على حدة.

1.3. الموقف المعارض للأدب النسائي:

واجه مصطلح الأدب النسائي منذ بداية ظهوره رفضاً قاطعاً من قبل طائفة من النقاد كانوا على قناعة بأنه عاجز عن إيجاد موقع شرعي له في خارطة الإبداع النقدي والأدبي العربي، إذن فقد أنكروا وجوده ومن ثم رفضوا الاعتراف بخصوصيته " جملة وتفصيلاً ابتداءً من المصطلح وانتهاءً بأية دراسات نقدية تحاول البرهنة على وجود مثل هذه الكتابة المنفصلة عن كتابة الرجل" (24).

والحقيقة أنّ هذا الرفض كانت له مبرراته والمتمثلة فيما يلي:

- الأدب يجمع المرأة والرجل ولا يعترف بتفريقهما نظراً لمشابهة ظروفهما.

- غياب خصوصية الأدب النسوي.

- المصطلح يركز على التصنيف الجنسي مما جعله يفتقر للدقة والموضوعية وإلماحه إلى دونية المرأة.

- الأدب النسائي ظهر ليدل على لون أدبي خاص وليكرس فكرة التصنيف التي لا تخدم الأدب وإنما تضره.

- المصطلح لم يوجب التصنيف من باب إقرار التميز والخصوصية، وإنما من باب إضافة صفة سلبية إلى مجموع الصفات التي أقرها الرجل وألصقها بصورة المرأة.
- الإيمان بفكرة مؤداها أن الأدب واحد في عمقه الإنساني بعيد عن الفروق الجنسية وأن اللغة واحدة وغير قابلة للتجنيس (الذكورة/ الأنوثة).
- الأدب تعبير عن الحياة وتشابه ظروفها لدى الرجل والمرأة يقتضي معالجة قضايا وهواجس مشتركة، وهذا ما ينفي خصوصية الأدب النسائي.
- الأدب الذي تبذره المرأة لا يمتلك تلك الخصوصية التي تميزه وبالتالي تؤهله لأن يكون أدبًا متميزًا يحمل هويته الخاصة " لا يمكن أن نقبل بمصطلح الأدب النسائي مادام هذا الأدب يفقد تميزه" (25).
- المصطلح يحصر هذا الأدب في فئة واحدة لأنه أطلق على أساس تصنيف بيولوجي جنسي، غير أنه يفتقر للخصوصية التي تميزه عما يكتبه الرجل، فالمرأة والرجل سيان في الكتابة الإبداعية وأنّ التصنيف القائم على أساس الجنس -ذكر، أنثى- ينتقص من قيمة الأدب الذي تكتبه المرأة ولا يزيد لها إلا تهميشًا بحصره في هذا الإطار. مما يؤكد أنه وجد لترسيخ الحواجز الحريمية، ولتمكين الرجل من الاستمرار في الهيمنة على كل شيء حتى على الأدب، وفي مقابل ذلك تهمش المرأة وإبداعاتها.
- طبيعة الثقافة السائدة، وهي الثقافة الذكورية الأحادية التي أسست لنسق ثقافي قائم على فكرة دونية المرأة وهامشيتها، ومن ثمة هامشية ما تكتبه نظرًا لعجزها على إضفاء رؤية فكرية واضحة، وطرح مسألة خصوصية واختلاف ومشروعية ما تكتبه.
- انطلاقًا من المبررات السابقة التي حالت دون قبول مصطلح الأدب النسوي والاعتراف بخصوصيته، حاولت "نازك الأعرجي" تصنيف المعارضين له إلى مجموعات أربع وهي (26):
- منهم من يعارض "الأدب النسائي" من موقع الانضباط إلى عقائد شمولية سواء كانت يمينية أم يسارية لأنّ ذلك يتنافى مع المرتبة الدونية المطلوب الحفاظ على المرأة في إطارها حسب وجهة النظر اليمينية، أمّا اليسارية فلا تريد تمييز نتائج المرأة في أيّ مجال لأنّ ذلك سيضعها على قدم المساواة مع نتائج الرجل.
- ومنهم من يعارض من موقف تقدمي خشية إحراز قدر من الزحزحة في المفاهيم والأعراف السائدة اجتماعيًا وفكريًا وسياسيًا ومن ثمة ثقافيًا.
- وهناك معارضة من نوع آخر تحول دون التأصيل لهذا النوع من الخطاب في عالمنا العربي بشكل جاد إلى فترة متقدمة من تاريخ الثقافة العربية على أساس أنه مستورد، تأصل في وسط منتج ذي معطيات حية مستندة إلى حركة إنتاج متواصلة وحركة نقدية فاعلة لا علاقة لها بمواز لدينا، يصطدم حين نستخدمه بمسئلات وانعطافات وجوامد عديدة فنضطر إلى تمريره عبر منعطفات مصطنعة كي يكون بالإمكان تطبيق بعض ملامحه على بعض ما يصلح في وسطنا المنتج.

- وهناك أخيراً فئة الأدبيات * أنفسهن اللواتي يقفن موقفاً معرضاً من هذا الخطاب، فما إن تسأل إحداهن عن هذا الخطاب حتى تجيب على الفور أنه ليس هناك خطاب أنثوي أو نسوي أنا أكتب أدباً إنسانياً، إذ تخشى الكثير منهن (تصنيفها في إطار الحدود الذاتية أو النظر إليها بدونية، أو تحديد جمهور القراء لأعمالهن نتيجة ذلك)⁽²⁷⁾.

- ويمكن أن تمثل لبعض هذه الفئات التي رفضت الاعتراف بوجود الأدب النسائي من خلال ما يلي:

• موقف بعض النقاد والأدباء المعارضين للأدب النسائي:

لقد اتخذ بعض النقاد والأدباء منذ الستينيات تحديداً موقفاً معارضاً تجاه مصطلح الأدب النسائي، وإن كانت مبررات الرفض التي أوردناها سابقاً تبدو عامة وشاملة، فإنه قد اتخذ هؤلاء النقاد لمواقفهم غير المؤيدة له مبررات خاصة تبدو أكثر تحديداً وقدرة على الإقناع بصحة التوجه، ويمكن أن تتضح بشكل جلي من خلال الوقوف عند بعض النقاد الذين اتخذوا موقفاً معرضاً إزاءه:

- "محمود فوزي": صاحب كتاب "أدب الأظافر الطويلة"، عبد الله الغدامي "من خلال مؤلفه "اللغة والمرأة"

• موقف الرفض لدى بعض الكاتبات:

إن رفض الاعتراف بالأدب النسائي لا يقتصر فقط على المجتمع الذكوري، وإنما يتعداه كذلك إلى طائفة كبيرة من الكاتبات أنفسهن، ذلك أن عبارة أدب نسوي "لا تحمل وقفاً مشجعاً حتى بين الكاتبات، والسبب الرئيسي هو أن مفهوم هذه العبارة يتضمن تمييزاً ضد الكاتبات يتجاوز بالضرورة الظلم الاجتماعي الذي تتعرضن له في الحقل الأدبي"⁽²⁸⁾، فهذا التصنيف حسبهن فيه إهانة وانتقاص من قيمة ما يكتبنه، ويمكن أن نرجع هذا الرفض للأسباب التالية:

- طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع الذكوري، والتي تمنع المرأة من الخوض في مجالات لطالما ظلت حكراً على الرجل.
- النظرة التهميشية الدونية للمرأة، ومن ثمة لكتاباتها، مما يجعل الاعتراف بمشروعية التصنيف يحيل على ضعف أعمالها، ووضعها في المرتبة الثانية بعد صدارة الرجل.

- إن هذا التصنيف ارتبط بالهوية الجنسية للمبدع(ة)، وهذا ما أثر على تلقيه لدى الكاتبات أنفسهن.
- توقعهن للرفض المطلق لهذه الأعمال التي ستدرج ضمن هذا الصنف أو على الأقل قلة الاهتمام بها.
- عدم قدرة الكاتبات على تكوين رؤية واضحة حول أدبهن، مما يجعلهن غير قادرات على طرح مسألة خصوصيته واختلافه.

بناءً على الأسباب السالفة تعددت مواقف الرفض لدى الكاتبات إزاء الأدب النسائي ومن هن نذكر: "غادة السمان"،

زهور ونيسي"، "أحلام مستغاني"

إن الأسماء السابقة - يضاف لها كثير مما لم يذكر - تبقى مجرد مواقف اختلفت مبرراتها وتعددت اتجاهاتها لكنها اتفقت على رفض ونبد الأدب النسائي، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود أصوات أخرى نادى بضرورة الاعتراف بمصطلحات هذه الكتابة؛ حيث أيدوها واستحسنوها رغبة منهم في إرساء معالمها وإقرار خصوصيتها بصفتها مواجهة للتهميش والاستلاب الذي لاقتة

المرأة في الحياة الاجتماعية لينتقل كذلك لساحة الإبداع الأدبي، وهو ما سيتضح لنا من خلال التطرق إلى الآراء المؤيدة لها ضمن الموقف التالي:

2.3. الموقف المؤيد للأدب النسائي:

لم يمنع الرفض المتزمت الذي وُوجه به الأدب النسائي في الأوساط الأدبية والنقدية، من وجود تأييد متحمس لذات المصطلح، وقد أبان عن نضج وفهم عميق لأهمية الاعتراف بخصوصية الأدب الذي تكتبه المرأة وبمشروعية الاسم الذي أطلق عليه، ولئن كنا قد عرضنا مبررات الرفض سابقاً، فإننا سنحاول أن نبين بعض الأسباب التي أوجدت هذا الموقف وأوجبت الاعتراف بالأدب النسائي.

• مبررات القبول:

- المصطلح يظهر خصوصية وتميز كتابات المرأة على اعتبار الاختلاف الجنسي والبيولوجي والسيكولوجي... وعلى اعتبار اختلاف عالمها الخاص وتفرد تجاربها، ومن ثمة اختلاف هواجسها وانشغالاتها ووجهات نظرها التي تنعكس على إبداعها مما يكفل له التميز والخصوصية.

- قدرة المرأة على رفع الأفتعة عن المحجوب، ونفض الغبار عن الطابوهات، وكشف المسكوت عنه للقارئ ليكون نظرة جديدة للعالم.

- إن المرأة أكثر قدرة على الغوص في أعماقها الداخلية وطرح قضاياها الخاصة، وتشخيص الواقع النسائي، وتصحيح النظرة السائدة إزاءه.

وعلى العموم فإنه يمكن أن نردف مبررات التأييد والاستحسان الذي لقاءه "الأدب النسائي" عند بعض المهتمين بأسباب أخرى سبق أن تطرق لها الكاتب والناقد "حسين المناصرة" من خلال مؤلفه: "النسوية في الثقافة والإبداع"، والتي نوردتها فيما يلي:

- ينطلق "حسين المناصرة" من الاختلافات القارة بين الرجل والمرأة في تبرير اعترافه بالأدب النسائي، ومن ثمة في تأكيده على تميز الأدب الذي تنتجه المرأة؛ حيث يقر أن الاختلافات الجوهرية في تركيبة المرأة تنعكس بلا شك على خطابها الأدبي والنقدي وتلعب دوراً هاماً في تشكيله، وقد خاض في شأنها وفصل في أمرها، ونجملها فيما يلي (29):

- تعد نفسية المرأة بوصفها نفسية خاصة مختلفة عن نفسية الرجل، إشكالية إبداعية لا يمكن أن يصل إليها أي كاتب مهما تكن براعته، ومن ثمة تشكل هذه النفسية وضعاً مغايراً في الكتابة النسائية ومحوراً فاعلاً لتبرير مشروعيتها.

- البنية الجسدية للمرأة تختلف عن البنية الجسدية للرجل، مما يفرض وضعاً جسدياً مغايراً في الكتابة النسائية التي تدعو إلى اضطلاع مفعولات الجسد بدور أكثر أهمية عوضاً عن تأثيمه وابتذاله لكونه ينتمي إلى الأنثى.

- يعد عقل المرأة وما ينتج عنه من روى وأخيلة متأثرة بأوضاعها الاجتماعية الانطوائية والموضوعية الأساس في تشكيل خطاب المرأة المولد لثقافة مغايرة وجماليات مختلفة، والتي تتيح بدورها للكتابة النسائية أن تكتسب مشروعيتها ثم تحقق الخصوصية والاختلاف⁽³⁰⁾.

إذن فخصوصية الكتابة لدى كل من الرجل والمرأة، وبالأخص عند المرأة ترجع إلى خصوصية تجاربها بالدرجة الأولى، وإلى الفروق الاجتماعية والثقافية والتاريخية والنفسية التي تعيشها، وعلى العموم فإن الأخذ بأهمية هذه الفروق هو مبرر الكثيرين في اعترافهم بالأدب النسائي، ومادامت الأسماء اللامعة في سماء تأييد الأدب النسائي كثيرة، فإننا سنتدرج في عرض بعضها من خلال الوقوف أولاً عند موقف بعض النقاد المؤيدين، لنتطرق فيما بعد إلى بعض الكاتبات المؤيدات له .

• بعض النقاد المؤيدين للمصطلح: محمد معتمد، "نزبه أبو نضال"، "عبد الله إبراهيم"

• بعض الكاتبات المؤيدات: "رشيدة بن مسعود"، "فضيلة الفاروق"

إذن فقد تحمس كثير من المهتمين لمصطلح الأدب النسائي وتأييدهم له، إلا أنه هناك منهم من يجعل الاعتراف به مشروطاً بتوفر الخصوصية، وهذا ما سيظهر بشكل جلي من خلال الموقف الثالث.

3.3. موقف الاعتراف المشروط:

إلى جانب الموقفين السابقين اللذين تتجاذبهما جدلية الرفض والقبول، فإنه يتجلى لنا موقف ثالث يتوسطهما ويتميز عنهما بكونه لم يتعصب بالرفض والاستهجان، ولم يتشدد ويتزمت في القبول والتأكيد، وإنما تعامل مع المصطلح بشيء من المرونة في الطرح، وبذلك اهتدى إلى الاستحسان والتحمس لكن باعتدال ووسطية وعدم تحيز، وقد مثله "فريق... له طابع المرونة في طروحاته التي لا تمنع في وجود فوارق بين كاتبين، ولكنهما فوارق محددة لا تصل إلى درجة كسر جماليات الكتابة الأم وآلياتها الفنية المتوحدة بغض النظر عن كاتبها أو كاتبها اللذين يمكن قتلها وإغفالها كلياً كما جاء في نظرية موت المؤلف في بعض المنهجيات البنيوية المعاصرة التي احتفت كثيراً بنصوصية النصوص، ومستوياتها اللغوية الفاعلة وسيميائياتها، بعيداً عن المرجعية والتأليف"⁽³¹⁾.

إذن فأنصار هذا الاتجاه يؤمنون بوجود فروق جوهرية بين كتابة الرجل وكتابة المرأة، وهي فروق تخول لهم الاعتراف بمشروعية الأدب النسائي، لكن هذا التأييد يبقى مشروطاً بتوفر ملامح الخصوصية، هذا فيما يتعلق بمساهمتهم في حسم الخلاف بين الفريقين، لكنهم وبالنظر إلى طرق النظريات الحديثة في الدراسة والتحليل يرون بأنه من العبث البحث عن جنس صاحب النص وذلك اقتداءً بنظرية "موت المؤلف" التي تقضي بتحليل النص وفقاً لمستوياته اللغوية الداخلية وبناءً على مضامينه وخصائصه الفنية والجمالية، ومعزل عن المعطيات الخارجية كتلك المتعلقة بمعرفة كاتبه وبالتالي جنسه لأن ذلك لا يغير في الأمر شيئاً ولا يفيد الدراسة بتاتاً.

وإذا كان بعض أنصار هذا الاتجاه يعترفون بالأدب النسائي ويؤيدونه استناداً على المبرر السابق - نظرية موت المؤلف - فإنه يتضمن أنصاراً آخرين يتبنون الاعتراف المشروط لكن وفقاً لمبررات أخرى، فهم يقرون بالخصوصية لكنهم ينفون ثباتها، ويمكن أن نمثل في هذا الصدد ببعض الأسماء البارزة في سماء الاعتراف المشروط من مثل: "يمنى العيد"، "حسام الخطيب" كانت هذه إذن المواقف التي اتخذت بشأن الكتابة النسائية، والحقيقة أن كثرة مبررات الرفض، وفي مقابل ذلك تزايد حجج الاعتراف والتأييد، كفيّلة بالإشارة إلى أن الأمر فيها لم يحسم بعد وبشكل نهائي، ومع ذلك فإن الكتابة النسائية آخذة في فرض نفسها واكتساح الثقافة العربية "سواء أقبلت هذه الثقافة بالتفاعل مع هذه المفردات أم رفضها بحجج متنوعة"⁽³²⁾، فالمسألة إذن قد خرجت عن حدود الرفض والتأييد والبحث عن المشروعية، وانتقلت إلى مرحلة أهم تعنى فيها المرأة بمواجهة مجالات الكتابة التي يهيمن عليها الرجل، وخوض غمارها من خلال تحديد حملتها الدلالية وتدعيمها في مسار إثبات الخصوصية، والمضي بها قدماً صوب تحقيق جدلية الاختلاف والمغايرة، ولعل ما يؤكد تمكنها من ذلك هو تزايد اكتساح المرأة لمجال الكتابة الأدبية وبالأخص جنس الرواية التي أبانت المرأة فيها عن رحابة وفكرها وقدراتها التخيلية وتميز لغتها وخصوصية مواضيعها وغيرها من الخصائص المائزة التي طبعنت نتاجها ومكنته من تحقيق الكينونة وإثبات الوجود والدخول في جدلية الاختلاف والمغايرة.

4. خاتمة:

من خلال كل ما سبق، يتضح لنا موضوع الأدب الذي تكتبه المرأة يعد موضوعاً إشكالياً بامتياز، ومجال جدل فكري ونقدي واسع لم يحسم أمر الاختلاف بشأنه بعد.

إن مصطلح الكتابة النسائية الذي اختلف بشأنه اختلافاً بيناً، بسبب عدم تحديده في إطاره المعرفي، قد شكل عنصراً سلبياً في تطور الدرس النقدي، من جهة، وفي عرقلة المسألة النسوية، من جهة أخرى، وكان ذلك في بداياته الأولى، غير أن الحال لم يظل كذلك، فتزايد اكتساح المرأة لساحة الإبداع الأدبي والنقدي، وتلمسها لعلامات الخصوصية وملامح الاختلاف وسمات التميز، كل ذلك قد أسس لنوع خاص من الكتابة وهي الكتابة النسائية.

والحقيقة أن الغاية الأساسية من الاعتراف بالكتابة النسائية وتأكيد مبدأ تميزها واختلافها ليست أبداً - كما قد يظن البعض - في تقسيم الكتابة والأدب لأنواع معزولة عن بعضها البعض، تلغي ما بينها من تقاطعات قوية تشهد على وحدة الإبداع والأدب بكل أنواعه وأصنافه، بقدر ما تسعى لإبراز التنوع الحاصل بينها حتى لا تضع الخصوصيات المميزة لكل كتابة، على اعتبار أن لكتابة المرأة ما يميزها عن غيرها، من خلال ما اكتسبته من ملامح خصوصية وسمات تميز وتنفرد بمختلفة ومغايرة عما سواها وبذلك تتجسد قوة الأدب والتي بلا شك تكمن في الاختلاف والتمايز والمغايرة، لا في النمطية والمشابهة. إن الأدب النسائي الجديد يعبر عن تحولات حضارية هامة وعن وجهة إنسانية حاملة لحساسية واعدة. يستطيع

الأدب النسائي، بنزعه الإنسانية، أن يؤسس لعالم جديد يقوم على التنوع والتناغم والتواصل في مواجهة قوى التمييز والتفكك والاغتراب التي تمثلها العولمة الزاحفة.

الهوامش:

- ¹ - محمد بن زاوي: "الأدب في ميزان النقد العربي والغربي"، النقد العربي المعاصر (المرجع والتلقي)، كتاب ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر وقضاياها واتجاهاته المنعقد بالمركز الجامعي بخنشلة يومي 22-23 مارس 2004، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص 177-178.
- ² - رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2002، ص74.
- ³ - فوزي الدماسي: صورة المرأة في الكتابة النسوية، شاعرات تونسيات نموذجاً، منتدى ستار تايمز، 2009.
- ⁴ - أشرف توفيق: من الأدب النسائي، اعترافات نساء وأدبيات، القاهرة، دار الأمين، 1998، ص10.
- ⁽⁵⁾ - إيمان نوري: تقنية الكتابة بصيغة المذكر في الرواية النسوية (دراسة تحليلية مقارنة في نماذج مختارة)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المقارن، إشراف الأستاذ: عبد المجيد حنون، جامعة باجي مختار-عنا، 2010-2011، ص04.
- ⁽⁶⁾ - إيمان نوري: تقنية الكتابة بصيغة المذكر في الرواية النسوية (دراسة تحليلية مقارنة في نماذج مختارة)، ص04. ينظر معنى طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد34، أكتوبر-ديسمبر 2005، ص11.
- ⁽⁷⁾ - المرجع نفسه، ص04. ينظر:
- . Merete stistrupjensen, la notion de la nature dans les théories de l'écriture féminine clio,, numéro 11-12, 2000, P 03.
- ⁽⁸⁾ - إيمان نوري: تقنية الكتابة بصيغة المذكر في الرواية النسوية (دراسة تحليلية مقارنة في نماذج مختارة)، ص02.
- ⁽⁹⁾ - مفيد نجم: الكتابة النسوية (إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي)، مجلة نزوى، عمان، الأردن، العدد42، جويلية 2009، ص45.
- ⁽¹⁰⁾ - حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص76.
- ⁽¹¹⁾ - المرجع نفسه، ص76-77.
- ⁽¹²⁾ - المرجع نفسه، ص80.
- ⁽¹³⁾ - المرجع السابق، ص76-77.
- ⁽¹⁴⁾ - رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف) إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص23-22.
- ⁽¹⁵⁾ - المرجع السابق، ص22.
- ⁽¹⁶⁾ - سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، سلسلة السرد العربي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2010م، ص288.

- (17) - أمل تميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005، ص30.
- (18) - رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة، ص 25.
- (19) - المرجع نفسه، ص30-31.
- (20) - المرجع نفسه، ص34-35.
- (21) - هند نوفل (1860-1920): صحفية لبنانية، و هي أول امرأة في العالم العربي تؤسس صحيفة نسائية تختص بقضايا المرأة فقط؛ حيث كرست كل جهودها للدفاع عنها ما جعلها تنصرف عن الاهتمام بالقضايا الأخرى على تنوعها كالسياسية والشؤون الدينية... متوفر على الموقع الإلكتروني:
- 18 أكتوبر 2018 الساعة 12:38. [https:// ar. m wikipedia .org](https://ar.m.wikipedia.org).
- (22) - بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999، ص 39.
- (23) - المرجع نفسه، ص 39.
- (24) - حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص 84.
- (25) - رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة، ص 79.
- (26) - ينظر نازك الأعرجي: الكتابة الأنثوية (مصطلحات نسائية) على شبكة النبا المعلوماتية على الموقع: www.anabaa.org.
- (27) - الموقع السابق.
- * خالدة سعيد، بمنى العيد، لوسي يعقوب، يسرى مقدم، لبنى ياسين، خنانة بنونة، سحر خليفة، سمية درويش، أحلام مستغاني، شهرزاد زاغز، زهرة الخلاصي....
- (28) - بثينة شعبان: مئة عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999، ص 11.
- (29) - ينظر حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص: 111-141.
- (30) - ينظر المرجع نفسه، ص: 111-141.
- (31) - حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص 84.
- (32) - حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص 72.

قائمة المراجع:

- (1) أشرف توفيق: من الأدب النسائي، اعترافات نساء وأدبيات، القاهرة، دار الأمين، 1998.
- (2) أمل تميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005.
- (3) إيمان نوري: تقنية الكتابة بصيغة المذكر في الرواية النسوية (دراسة تحليلية مقارنة في نماذج مختارة)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المقارن، إشراف الأستاذ: عبد المجيد حنون، جامعة باجي مختار-عنا، 2010-2011.
- (4) بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999.
- (5) حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط1، 2008.
- (6) رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2002.

- (7) رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف) إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، ط1، 2002.
- (8) سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، سلسلة السرد العربي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
- (9) فوزي الدماسي: صورة المرأة في الكتابة النسوية، شاعرات تونسيات نموذجاً، منتدى ستار تايمز، 2009.
- (10) محمد بن زاوي: "الأدب في ميزان النقد العربي والغربي"، النقد العربي المعاصر (المرجع والتلقي)، كتاب ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر وقضاياها واتجاهاته المنعقد بالمركز الجامعي بخنشلة يومي 22-23 مارس 2004، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004.
- (11) مفيد نجم: الكتابة النسوية (إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي)، مجلة نزوى، عمان، الأردن، العدد 42، جويلية 2009.
- (12) نازك الأعرجي: الكتابة الأنثوية (مصطلحات نسائية) على شبكة النبا المعلوماتية على الموقع www.anabaa.org